شَرْحُ العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ

لِلشَّيْخِ الإِمَام
أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّد العَرَبِيِّ الفَاسِيِّ
(٩٨٨-١٠٥٥ هـ)

اعتنى به
نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

شَرْحُ العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ

الكتاب: شَرْحُ العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ

المؤلِّف : الإمامُ أبو حامد محمد العربي الفاسي (١٠٥٥هـ)

المعتني به: نزار حَمَّادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

شَرْحُ

العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ

لِلشَّيْخِ الإِمَامِ

أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّد العَرْبِيِّ الفَاسِيِّ

(٩٨٨-١٠٥٥هـ)

اعتنى به

نزار حمادي



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَبَّحَتْ بِحَمْدِهِ جَمِيعُ المَوْجُودَاتِ، وَدَلَّتْ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ سَائِرُ المُكَوَّنَاتِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ هَادِينَا لِلنَّجَاةِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّابِقِينَ إِلَى الخَيْرَاتِ، صَلَاةً وَسَلَاماً دَائِمَيْنِ بَاقِيَيْنِ مَا بَقِيَتِ الأَرَضُونَ وَالسَّمَاوَاتِ.

وَبَعْدُ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ العُلُومِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَأَهَمَّهَا عِنْدَ العُقَلَاءِ بِاتِّفَاقٍ: عِلْمُ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ المُقَرَّرَةِ عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ السَّنِيَّة؛ ذَلِكَ أَنَّهُ العِلْمُ الَّذِي عَلَيْهِ تَنْبَنِي السَّعَادَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالأُخْرَوِيَّةُ.

أَمَّا الأُولَى فبِمَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنَ اليَقِينِ فِي عَقَائِدِ الدِّينِ، وَاطْمِئْنَانِ قَلْبِهِ وَسَلَامَتِهِ مِنْ شُبُهَاتِ الزَّائِغِينَ.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلِأَنَّ أدْنَى ثَمَرَاتِهِ النَّجَاةُ مِنَ الخُلُودِ فِي النِّيرَانِ؛ لقوله ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**

مِـنْ إِيمَـانٍ»[1] ، وَأَعْلَاهَـا رُؤْيَـةُ اللَّــهِ تَعَـالَى بِـلَا كَيْـفٍ وَلَا انْحِصَارٍ، وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ مِنَ النَّعِيمِ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّـهُ الوَاحِـدُ القَهَّارُ.

وَلِهَذَا لَمْ يَزَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ يَحْرِصُونَ عَلَى التَّأْلِيفِ فِي هَذَا العِلْمِ الجَلِيلِ لِإِظْهَارِ الحَقِّ المُبِينِ فِي عَقَائِدِ الدِّينِ، وَهِدَايَةِ المُسْتَرْشِدِينَ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَى جَمِيعِ المُخَالِفِينَ.

وَأَبْرَزُ تِلْكَ العَقَائِدِ هِيَ أَنَّ العَالَمَ حَادِثٌ مَوْجُودٌ بَعْدَ العَدَمِ، وَصَانِعُهُ - وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى - أَزَلِيٌّ، قَدِيمٌ، وَاجِبُ الوُجُودِ، غَيْرُ مَسْبُوقٍ بِالعَدَمِ وَلَا مَلْحُوقٍ بِهِ، مُتَّصِفٌ بِصِفَاتٍ قَدِيمَةٍ: مِنَ القُدْرَةِ، وَالإِرَادَةِ، وَالعِلْمِ، وَالحَيَاةِ، وَالسَّمْعِ، وَالبَصَرِ، وَالكَلَامِ، لَيْسَتْ إِيَّاهُ وَلَا هِيَ غَيْرُهُ.

وَاحِدٌ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ، وَلَا نِهَايَةَ وَلَا صُورَةَ وَلَا حَدَّ، وَلَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ، وَلَا يَقُومُ بِهِ وَصْفٌ

---

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، حديث رقم:١٩٧١

حَادِثٌ، غَنِيٌّ غَيْرُ مُحْتَاجٍ، وَلَا تَصِحُّ عَلَيْهِ الحَرَكَةُ وَالانْتِقَالُ، وَلَا الجَهْلُ وَلَا النَّقْصُ وَلَا الزَّوَالُ.

وَأَنَّهُ يُرَى فِي الآخِرَةِ، وَلَيْسَ فِي حَيِّزٍ وَلَا جِهَةٍ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، كُلُّ المَخْلُوقَاتِ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، لَكِنَّ القَبَائِحَ لَيْسَتْ بِرِضَاهُ، أَيْ المَنْهِيَّات لَا يَرْضَاهَا، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُثِيبُ عَلَيْهَا وَلَا يَمْدَحُ فَاعِلَهَا، وَلَا يَرْضَاهَا دِيناً.

وَأَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ، وَخَصَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ بِأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَبَعَثَهُ إِلَى الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ العَالَمِينَ.

وَأَنَّ المَعَادَ الجِسْمَانِيَّ وَسَائِرَ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ: مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَالحِسَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالمِيزَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ حَقٌّ.

وَأَنَّ الكُفَّارَ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، دُونَ الفُسَّاقِ. وَأَنَّ العَفْوَ وَالشَّفَاعَةَ حَقٌّ.

وَأَنَّ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ حَقٌّ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأُصُولِ الإِيمَانِيَّةِ.

وَلَقَدْ أَرْشَدَ القُرْآنُ العَظِيمُ إِلَى جَمِيعِ هَذِهِ الأُصُولِ وَالقَوَاعِدِ الإِيمَانِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ، وَدَلَّ مُطَابَقَةً وَتَضَمُّناً وَلُزُوماً عَلَى مَا يَجِبُ ثُبُوتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الكَمَالَاتِ، وَمَا يَسْتَحِيلُ اتِّصَافُهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ وَسِمَاتِ المُحْدَثَاتِ.

فَمِنْ الأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٣٤]، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَمِنَ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]، ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٩]، ﴿ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا

﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥] ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤] ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

ثُمَّ تَصَدَّى العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ لِبَسْطِ وَشَرْحِ تِلْكَ الآيَاتِ وَالإِشَارَاتِ القُرْآنِيَّةِ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمُ العَقَدِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَجَلِّ المُصَنِّفِينَ فِي هَذَا العِلْمِ عَلَى الإِطْلَاقِ: الشَّيْخُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ السَّنُوسِيُّ الشَّرِيفُ الحَسَنِيُّ(٢) ، فَقَدِ انْفَرَدَ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ فِي غَايَةِ المَعْرِفَةِ، وَعَقَائِدُهُ المُبَارَكَةُ المَشْهُورَةُ تُنْبِئُ عَنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِيمَا حَكَى عَنْهُ تِلْمِيذُهُ المَلَّالِيُّ فِي كِتَابِهِ «**المَوَاهِبُ القُدُّوسِيَّةُ فِي المَنَاقِبِ السَّنُوسِيَّةِ**»: «إِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ عِلْمٌ مِنَ العُلُومِ الظَّاهِرَةِ يُورِثُ صَاحِبَهُ المَعْرِفَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالخَشْيَةَ مِنْهُ وَالمُرَاقَبَةَ لَهُ إِلَّا عِلْمُ التَّوْحِيدِ، وَبِهِ

---

(٢) ترجمت له مطولا في صدر العناية بطالع البشرى على العقيدة الصغرى للشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني الزيتوني المالكي الأشعري (ص ٧ إلى ص ٣٢)

يَفْتَحُ اللَّـهُ لَهُ فِي فَهْمِ سَائِرِ العُلُومِ كُلِّهَا، وَعَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ بِهِ يَزْدَادُ خَوْفُهُ مِنَ المَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقُرْبُهُ مِنْهُ».

وَمِنْ أَلْطَفِ وَأَصْغَرِ مُصَنَّفَاتِهِ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ رِسَالَتُهُ الصَّغِيرَةُ الجِحْمِ الكَبِيرَةُ القَدْرِ المَوْسُومَةُ بِـ«**العَقِيدَة الحَفِيدَة**»، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ فِي الأَصْلِ مَوْضُوعَةً لِلنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالبَنَاتِ لِتَكْفِيهِمْ فِي بَابِ الاعْتِقَادَاتِ، فَإِنَّ بَعْضَ العُلَمَاءِ المُحَقِّقِينَ وَالأَذْكِيَاءِ المُحَصِّلِينَ انْتَبَهُوا لِمَا فِيهَا مِنْ جَوَاهِرِ المَعَانِي، فَوَضَعُوا عَلَيْهَا شُرُوحاً مُتَفَاوِتَةً طُولاً وَاخْتِصَاراً، وَاعْتَنَوْا بِفَضَائِلِهَا إِبْرَازاً وَإِظْهَاراً.

وَمِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْهَا: «**التُّحْفَةُ العَزِيزَةُ فِي شَرْحِ العَقِيدَةِ الوَجِيزَةِ**» للشيخ العلامة محمد الحسن ابن عرضون الزجلي المتوفى سنة (١٠١٢هـ)، وَ«**شَرْحُ العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ**» للشيخ العلامة أبي حامد محمد العربي الفاسي المتوفى سنة (١٠٥٥هـ)، وَ«**التُّحْفَةُ المُفِيدَةُ فِي شَرْحِ العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ**» للشيخ العلامة أبي مهدي عيسى السكتاني المتوفى سنة

(١٠٦٢هـ)، وَ«**المَطَالِعُ السَّعِيدَةُ فِي شَرْحِ العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ**» للشيخ العلامة أبي عذبه حسن بن عبد المحسن الذي كان حيا سنة (١١٧٢هـ)، وَ«**التُّحْفَةُ المُفِيدَةُ لِتَحْصِيلِ مَعَانِي الحَفِيدَةِ**» للشيخ العلامة عبد الله بن يعقوب الجزولي، ومنها «**الدُّرَّةُ الفَرِيدَةُ بِشَرْحِ العَقِيدَةِ المُسَمَّاةِ بِالحَفِيدَةِ**» للشيخ أحمد بن محمَّد السُّجَاعِيّ المتوفى سنة (١١٩٧ هـ).

وَبَعْدَ أَنْ وَفَّقَ اللَّـهُ تَعَالَى بِكَرَمِهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ لِتَحْقِيقِ وَنَشْرِ «**التُّحْفَةِ المُفِيدَةِ**» لِلشَّيْخِ السُّكْتَانِي، فَهَا هُوَ دَوْرُ شَرْحِهَا لِلشَّيْخِ العَلَّامَةِ أَبِي حَامِدٍ الفَاسِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَيْسَرِ شُرُوحِهَا وَأَصْغَرِهَا وَأَقْرَبِهَا لِلْمُبْتَدِئِينَ، إِذِ اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى حَلِّ أَلْفَاظِهَا، وَالإِشَارَةِ إِلَى وُجُوهِ أَدِلَّتِهَا، وَسَلَكَ فِي ذَلِكَ مَسْلَكَ الشَّرْحِ المَمْزُوجِ، فَصَارَ المَتْنُ وَالشَّرْحُ كَنَصٍّ وَاحِدٍ مُتَّصِلِ المَعَانِي وَمُتَكَامِلِ المَبَانِي.

فَاللَّـهَ نَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ بِالأَصْلِ وَشَرْحِهِ جَمِيعَ المُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ عَوْناً لَهُمْ لِاسْتِعَادَةِ وَحْدَتِهِمْ وَتَآلُفِ قُلُوبِهِمْ وَاجْتِمَاعِهَا عَلَى الحَقِّ المُبِينِ فِي أُصُولِ الدِّينِ، فَإِنَّهُ السَّبِيلُ الأَوْحَدُ لِامْتِثَالِ أَمْرِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ - حَقَّ الامْتِثَالِ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فَقَدْ أَثْبَتَتِ الحَقَائِقُ التَّارِيخِيَّةُ أَنَّ الأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ مَا اجْتَمَعَتْ بَعْدَ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ الأُولَى عَلَى عَقِيدَةٍ كَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَى هَذِهِ العَقِيدَةِ السُّنِّيَّةِ الأَشْعَرِيَّةِ، وَمَا عَرَفَتِ النَّصْرَ وَالعِزَّةَ وَازْدِهَارَ الحَضَارَةِ مِنْ أَقْصَى الشَّرْقِ إِلَى أَقْصَى الغَرْبِ إِلَّا فِي ظِلِّهَا، وَإِنَّ لُبَّ لُبَابِ العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الصَّافِيَةِ وَمَقَاصَدَ مَقَاصِدِهَا مَذْكُورٌ فِي هَذِهِ الحَفِيدَةِ وَشَرْحِهَا، وَبِاللَّـهِ التَّوْفِيقُ.

كتبه نزار حمادي في عشية يوم الثلثاء في الثاني من جمادى الثانية عام ١٤٣٣هـ الموافق للرابع والعشرين من شهر أفريل لعام ٢٠١٢م

شذرات من ترجمة الشيخ العلامة

أبي حامد محمد العربي الفاسي

ترجم له الشيخ محمد بن الطيب القادري في «نشر المثاني» فقال: هو الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، الأوحد الهمام، بقية السلف، وبركة الخلف، أعجوبة الزمان حفظا وفهماً، ونادرة العصر تحقيقا وعِلماً، العلامة الأوحد: أبو عبد الله، وأبو حامد محمد العربي بن سيدي يوسف الفاسي الفهري.

كان ممن تقصر عن استقصاء محاسنه الأقلام، وتكل دون منتهاها الأنام، أمرُه أشهر من نار على علَم، كأنه بدر تمَّ سطع في ديجور الظُّلَم.

قد برع في الفنون، وغاص في لججها فاستخرج نفائس دررِها المكنون، وألف تآليف عديدة، وفتاوي في أفانين العلم مفيدة، قد أخذت من الحسن بمكان، ولها في نفس ذوي الإنصاف شأن وأي شأن، فكأنما هي لآلئ درّ وعقيان، وله

أنظام في فنون علمية، وأشعار أدبية، ومكاتبات وأسجاع تستحسنها الطباع[٣].

وترجمه الحضيكي في طبقاته فقال: شيخ الإسلام، وعالم العلماء، أوحد عصره، وأعجوبة وقته، برع في علوم كثيرة ونجب وحاز قصَب السَّبْق، وبه ختم علماء المغرب. وقال فيه عمه الإمام أبو زيد عبد الرحمن: هو أعلم بفن الكلام من الإمام السنوسي[٤].

قال المحبي في «خلاصة الأثر»: الشيخ الإمام المتفنن العلامة المتبحر النقاد عالم المغرب في عصره من غير مدافع[٥].

---

(٣) نشر المثاني ضمن موسوعة أعلام المغرب (ج٤/ص١٤٠٥) تحقيق محمد حجي، نشر دار الغرب الإسلامي.

(٤) طبقات الحضيكي (ج٢/ص٤٦٦)

(٥) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي (ج٤/ص٢٧٣)

وأورد القادري أيضا ترجمته في «الإكليل والتاج» فقال: أَمْرُه في الحفظ والتحقيق وعلوِّ القلم أشهر من نار على علَم، أخذ عن والده الشيخ العارف بالله أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، وعن عمه الشيخ العلامة العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن الفاسي[٦].

قلت: ومن أبرز مشايخه وأعلاهم قدراً الشيخ القصّار (٩٣٦ ـ ١٠١٢ هـ) وقد ترجم له الشيخ محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن فقال: هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي الأصل الفاسي المولد والدار، المعروف بالقصار: الإمام، العالم، المستبحر، المحقق، النظار، مفتي فاس، وخطيب جامع القرويين بها، ومحدِّث المغرب في وقته، وكان دائم الخشية والخشوع، سريع الدمعة، ذاكراً للموت كلامُه كلُّه جِدٌّ مشوب بالوعظ والتذكير، مجالسته

---

(٦) الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج لمحمد بن الطيب القادري (ص ٤٩٩) تحقيق مارية دادي، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

روض مزهِر، كثير الفوائد، لازمته سنين عديدة بالمجالسة والاستفادة والمباحثة وحضور مجالسه العلمية[٧].

قال صاحب «الإكليل والتاج» أيضا: وألف كتبا مفيدة ومنظومات، فمنها: «**مراصد المعتمَد في مقاصد المعتقَد**»، و«**تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان**»، و«**الطالع المشرق في أفق المنطق**»، وله منظومة حاذى بها الآجرّومية، ومنظومة في ألقاب الحديث، ومنظومة سماها بـ«**عقد الدرر في نظم نخبة الفكر لابن حجر في علم الأثر**»، وله عليها شرح، ومنظومة في الزكاة، وله قصائد ومقطعات في أمداح نبوية وغيرها، وله شرح على القصيدة الشقراطسية، وله تأليف في أحكام شهادة اللفيف، وشرع في عدة كتب مات قبل إتمامها، فمنها مرآة المحاسن، وشرح على قصيدة كعب بن زهير، وشرح دلائل الخيرات، وشرح على الشفا.

---

(٧) مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن (ص ٢٧٣) تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات رابطة أبي المحاسن بن الجد.

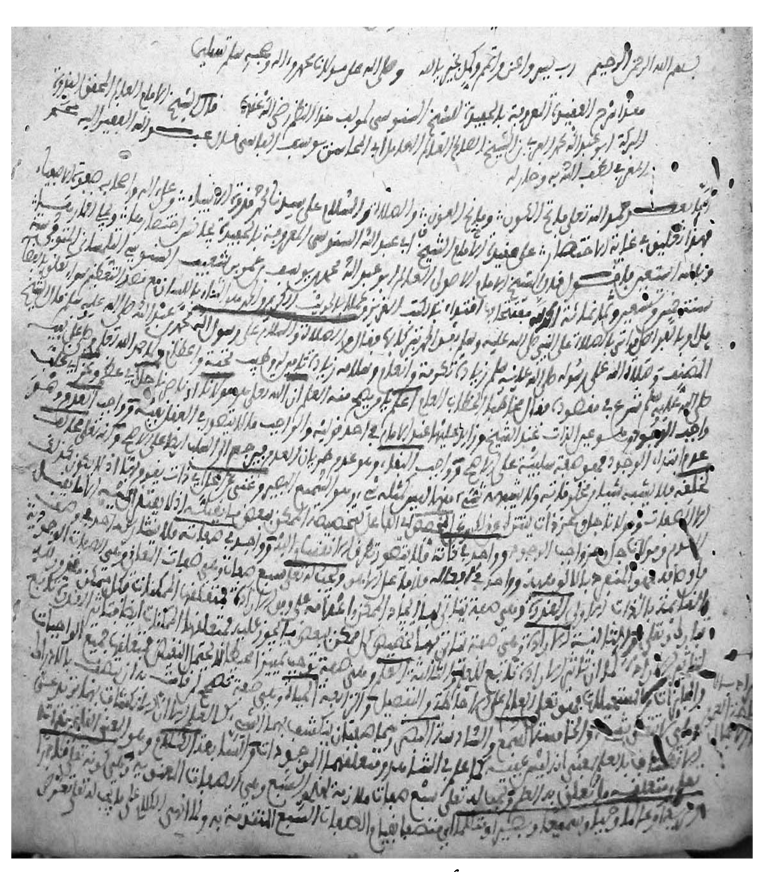
ولد ضحوة الاثنين سادس شوال سنة ثمان وثمانين وتسعمائة (٩٨٨هـ) بفاس، وبها نشأ إلى أن ارتحل منها وجال في البلاد ثم استقر بتطوان، وبها توفي ضحوة السبت رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنين وخمسين وألف، ودفن هنالك، ثم نقل بعد عامين فدفن بقبة أبيه بفاس. رضي الله عنه ونفعنا به. آمين[٨].

النسخة المعتمدة في العناية بالشرح

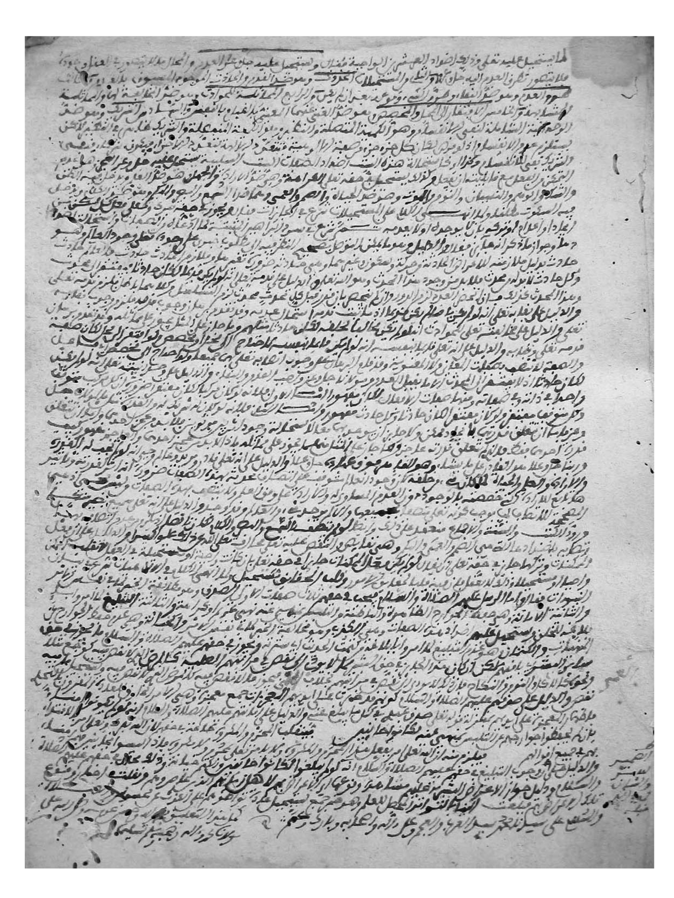
يَسَّرَ اللَّهُ تعالى العناية بهذا الشرح اللطيف على العقيدة الحفيدة استناداً إلى نسخته المخطوطة الموجودة ضمن المجموع رقم (١٦٥٦٤) بالمكتبة الوطنية بتونس، ويعع في الورقة رقم (٣٢١). وهذه صورتها:

---

(٨) الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج (ص ٤٩٩) تحقيق مارية دادي، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.



الصفحة الأولى من المخطوط



الصفحة الأخيرة من المخطوط

العَقِيدَةُ الحَفِيدَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ.

اِعْلَمْ أَنَّ مَوْلَانَا ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ وَاجِبُ الوُجُودِ، وَالقِدَمِ، وَالبَقَاءِ، وَمُخَالِفٌ لِخَلْقِهِ، غَنِيٌّ عَنِ المَحَلِّ وَالمُخَصِّصِ، وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَجِبُ لَهُ القُدْرَةُ، وَالإِرَادَةُ، وَالعِلْمُ، وَالحَيَاةُ، وَالسَّمْعُ، وَالبَصَرُ، وَالكَلَامُ، وَكَوْنُهُ قَادِرًا، وَمُرِيدًا، وَعَالِمًا، وَحَيًّا، وَسَمِيعاً، وَبَصِيراً، وَمُتَكَلِّمًا، وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ العَدَمُ، وَالحُدُوثُ، وَطُرُوُّ العَدَمِ، وَالمُمَاثَلَةُ لِلْحَوَادِثِ، وَالاِفْتِقَارُ إِلَى المَحَلِّ وَالمُخَصِّصِ، وَالشَّرِيكُ، وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ العَجْزُ، وَالكَرَاهَةُ، وَالجَهْلُ، وَالمَوْتُ، وَالصَّمَمُ، وَالعَمَى، وَالبَكَمُ، وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى: وُجُودُ العَالَمِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا لَكَانَ حَادِثًا. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَاقِيًا لَمْ يَكُنْ قَدِيماً. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِخَلْقِهِ لَكَانَ مِثْلَهُمْ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَاحْتَاجَ إِلَى مَحَلٍّ وَمُخَصِّصٍ، وَلَوِ افْتَقَرَ إِلَى مَحَلٍّ لَكَانَ صِفَةً، وَلَوِ احْتَاجَ إِلَى مُخَصِّصٍ لَكَانَ حَادِثًا. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا لَكَانَ مَقْهُورًا، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. وَلَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ تَعَالَى القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالعِلْمُ وَالحَيَاةُ لَمَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ. وَلَوْ لَمْ يَتَّصِفْ

بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلاَمِ لَكَانَ نَاقِصًا، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُ الـمُمْكِنَاتِ وَتَرْكُهَا جَائِزًا فِي حَقِّهِ لاَنْقَلَبَ، وَقَلْبُ الحَقَائِقِ مُسْتَحِيلٌ.

وَأَمَّا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ الصِّدْقُ، وَالأَمَانَةُ، وَالتَّبْلِيغُ. وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الكَذِبُ، وَالخِيَانَةُ، وَالكِتْمَانُ. وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ مَا يَجُوزُ فِي حَقِّ سَائِرِ البَشَرِ، لَكِنْ إِنْ كَانَ لاَ يُؤَدِّي إِلَى النَّقْصِ فِي مَرَاتِبِهِمُ العَلِيَّةِ، كَالْـمَرَضِ وَنَحْوِهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِهِمْ الـمُعْجِزَاتُ. وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ لَكَانُوا خَائِنِينَ. وَلَوْ لَمْ يُبَلِّغُوا لَكَانُوا خَائِنِينَ، وَذَلِكَ مُحَالٌ. وَدَلِيلُ جَوَازُ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ مُشَاهَدَةُ وُقُوعِهَا بِهِمْ لِأَهْلِ زَمَانِهِمْ وَنُقِلَتْ إِلَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ. صَلَّى اللهُ عَلَى مَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

شَرْحُ

العَقِيدَةِ الحَفِيدَةِ

لِلشَّيْخِ الإِمَامِ

أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّد العَرْبِيِّ الفَاسِيِّ

(٩٨٨ـ١٠٥٥هـ)

اعتنى به

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ العَالِمُ المُحَقِّقُ القُدْوَةُ البَرَكَةُ

أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٌ العَرَبِيُّ ابْنُ الشَّيْخِ الصَّالِحِ العَالِمِ العَامِلِ أَبِي المَحَاسِنِ يُوسُفَ الفَاسِي

قَالَ عَبْدُ اللَّـهِ الفَقِيرُ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ العَرَبِيُّ لَطَفَ اللَّـهُ بِهِ وَكَانَ لَهُ: أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّـهِ تَعَالَى فَاتِحِ الكَوْنِ، وَمَانِحِ العَوْنِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ قُدْوَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَفْوَةِ الأَصْفِيَاءِ، فَهَذَا تَعْلِيقٌ فِي غَايَةِ الاخْتِصَارِ عَلَى عَقِيدَةِ الشَّيْخِ الإِمَامِ أَبِي عبْدِالله السَّنُوسِيِّ الـمَعْرُوفَةِ بِـ«**الحَفِيدَةِ**»، يُجَانِسُ اخْتِصَارَهَا، وَيُجَلِّي أَقْمَارَهَا، وَبِاللَّـهِ أَسْتَعِينُ فَأَقُولُ:

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ الأُصُولِيُّ العَالِـمُ أَبُو عَبْدِاللَّـهِ مُحَمَّدُ بْن يُوسُفَ بْنُ عُمَرَ بْنُ شُعَيْبَ السَّنُوسِيُّ التِّلِمْسَانِيُّ الـمُتَوَفَّي

سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمائَةَ: (**الحَمْدُ لِلَّهِ**) مُفْتَتِحاً بِهَا، اقْتِدَاءً بِالكِتَابِ العَزِيزِ، وَعَمَلًا بِالحَدِيثِ الكَرِيمِ.

وَالحَمْدُ: هُوَ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ مَعَ قَصْدِ التَّعْظِيمِ، سَوَاءٌ تَعَلَّقَ بِالفَضَائِلِ أَوْ بِالفَوَاضِلِ.

وَأَتَى بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ بَعْدَ الحَمْدِ تَبَرُّكاً بِهَا فَقَالَ: (**وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ**) مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّيْخُ المُصَنِّفُ: «وَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: زِيَادَةُ تَكْرِمَةٍ وَإِنْعَامٍ. وَسَلَامُهُ: زِيَادَةُ تَأْمِينٍ لَهُ، وَطَيِّبُ تَحِيَّةٍ وَإِعْظَامٍ[٩].

---

(٩) شرح الصغرى للإمام السنوسي (ص٩)

ـ الإلهيات ـ

وَلَـمَّا حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَرَعَ فِي مَقْصُودِهِ فَقَالَ مُخَاطِباً الخِطَابَ العَامَّ: (**اِعْلَمْ**) يَا مَنْ يَصِحُّ مِنْهُ العِلْمُ (**أَنَّ**) اللَّهَ تَعَالَى هُوَ (**مَوْلَانَا**) أَيْ: نَاصِرُنَا (**جَلَّ**) أَيْ: عَظُمَ (**وَعَزَّ**) أَيْ: غَلَبَ (**وَاجِبُ الوُجُودِ**) وَهُوَ عَيْنُ الذَّاتِ عِنْدَ «**الشَّيْخِ**»، وَزَائِدٌ عَلَيْهَا عِنْدَ «**الإِمَامِ**» فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ. وَالوَاجِبُ: مَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ نَفْيُهُ.

(**وَ**) وَاجِبُ (**القِدَمِ**) وَهُوَ عَدَمُ ابْتِدَاءِ الوُجُودِ، فَهُوَ صِفَةٌ سَلْبِيَّةٌ عَلَى الأَصَحِّ.

(**وَ**) وَاجِبُ (**البَقَاءِ**) وَهُوَ عَدَمُ طَرَئَانِ العَدَمِ، فَيَرْجِعُ إِلَى السَّلْبِ أَيْضاً عَلَى الأَصَحِّ.

(**وَ**) أَنَّهُ تَعَالَى (**مُخَالِفٌ لِخَلْقِهِ**) فَلَا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْهَا؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

(غَنِيٌّ عَنِ المَحَلِّ) أَيْ: ذَاتٍ يَقُومُ بِهَا؛ إِذْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا الصِّفَاتُ، وَمَوْلَانَا ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ ذَاتٌ يَتَنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ، (وَ) عَنِ (الـمُخَصِّصِ) أَيْ: الفَاعِلِ لِتَخْصِيصِهِ الـمُمْكِنَ بِبَعْضِ مَا يَقْبَلُهُ؛ إِذْ لَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ إِلَّا مَا يَقْبَلُ العَدَمَ، وَمَوْلَانَا ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ وَاجِبُ الوُجُودِ.

وَ(وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ) فَلَا يُتَصَوَّرُ تَطَرُّقُ الانْقِسَامِ إِلَيْهِ.

(وَ) وَاحِدٌ فِي (صِفَاتِهِ) فَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي وَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ، فَهُوَ الـمُنْفَرِدُ بِالأُلُوهِيَّةِ.

(وَ) وَاحِدٌ فِي (أَفْعَالِهِ) فَلَا فَاعِلَ إِلَّا هُوَ.

(وَيَجِبُ لَهُ) تَعَالَى سَبْعُ صِفَاتٍ، وَهِيَ صِفَاتُ الـمَعَانِي، وَهِيَ الصِّفَاتُ الوُجُودِيَّةُ القَائِمَةُ بِالذَّاتِ:

ـ الأُولَى: (القُدْرَةُ) وَهِيَ صِفَةٌ يَتَأَتَّى بِهَا إِيجَادُ الـمُمْكِنِ وَإِعْدَامُهُ عَلَى وَفْقِ الإِرَادَةِ، فَمُتَعَلَّقُهَا الـمَمْكِنَاتُ، فَكُلُّ مُمْكِنٍ مَقْدُورٌ لِلَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ـ (وَ) الثَّانِيَةُ: (الإِرَادَةُ) وَهِيَ صِفَةٌ يَتَأَتَّى بِهَا تَخْصِيصُ كُلِّ مُمْكِنٍ بِبَعْضِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، فَمُتَعَلَّقُهَا الـمُمْكِنَاتُ أَيْضاً، فَتَأْثِيرُ القُدْرَةِ تَابِعٌ لِتَأْثِيرِ الإِرَادَةِ، كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَ الإِرَادَةِ تَابِعٌ لِلْعِلْمِ.

ـ (وَ) الثَّالِثَةُ: (العِلْمُ) وَهِيَ صِفَةٌ تُوجِبُ تَـمْيِيزاً مُـحِيطاً لَا يَحْتَمِلُ النَّقِيضَ، فَمُتَعَلَّقُهَا جَمِيعُ الوَاجِبَاتِ وَالجَائِزَاتِ وَالـمُسْتَحِيلَاتِ، فَهُوَ تَعَالَى العَالِـمُ عَلَى الإِحَاطَةِ وَالتَّفْصِيلِ.

ـ (وَ) الرَّابِعَةُ: (الحَيَاةُ) وَهِيَ صِفَةٌ تُصَحِّحُ لِـمَنْ قَامَتْ بِهِ أَنْ يَتَّصِفَ بِالإِدْرَاكِ، وَهِيَ لَا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ.

ـ (وَ) الخَامِسَةُ: (السَّمْعُ).

ـ (وَ) السَّادِسَةُ: (البَصَرُ).

وَهُمَا صِفَتَانِ يَنْكَشِفُ بِهِمَا الشَّيْءُ كَالعِلْمِ، إِلَّا أَنَّ الانْكِشَافَ بِهِمَا يَزِيدُ عَنِ الانْكِشَافِ بِالعِلْمِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ عَيْنَهُ كَمَا عُلِمَ فِي الشَّاهِدِ، وَمُتَعَلَّقُهُمَا الـمَوْجُودَاتُ.

ـ (وَ) السَّابِعَةُ: (**الكَلاَمُ**) وَهُوَ الـمَعْنَى القَائِمُ بِذَاتِهِ تَعَالَى، وَيَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ العِلْمُ.

(وَ) تَجِبُ لَهُ تَعَالَى سَبْعُ صِفَاتٍ مُلَازِمَةٌ لِـهَذِهِ السَّبْعِ، وَهِيَ الصِّفَاتُ الـمَعْنَوِيَّةُ، وَهِيَ (**كَونُهُ**) تَعَالَى (**قَادِرًا، وَمُرِيدًا، وَعَالِمًا، وَحَيًّا، وَسَمِيعاً، وَبَصِيراً وَمُتَكَلِّمًا**) أَيْ مُتَّصِفاً بِقِيَامِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ الـمُتَقَدِّمَةِ بِهِ.

وَلَـمَّا أَنْهَى الكَلَامَ عَلَى مَا يَـجِبُ لَهُ تَعَالَى تَعَرَّضَ لِـمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ أَضْدَادُ العِشْرِينَ الوَاجِبَةِ، فَقَالَ: (**وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ العَدَمُ**)، وَالـمُحَالُ: مَا لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ وُجُودُهُ، فَلَا يُتَصَوَّرُ تَطَرُّقُ العَدَمِ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ.

(وَ) الثَّانِي مِنَ الـمُسْتَحِيلَاتِ: (**الحُدُوثُ**) وَهُوَ ضِدُّ القِدَمِ. وَالحَادِثُ: الـمَوْجُودُ الـمَسْبُوقُ بِالعَدَمِ.

(وَ) الثَّالِثُ: (**طُرُوُّ العَدَمِ**) وَهُوَ ضِدُّ البَقَاءِ، وَطُرُوُّ الشَّيْءِ: وُقُوعُهُ بَعْدَ أَنْ لَـمْ يَكُنْ.

(وَ) الرَّابِعُ: (الـمُمَاثَلَةُ لِلْحَوَادِثِ) وَهُوَ ضِدُّ الـمُخَالَفَةِ لَـهَا، وَالـمُمَاثَلَةُ: الـمُشَابَهَةُ.

(وَ) الخَامِسُ: (الافْتِقَارُ إِلَى المَحَلِّ وَالمُخَصِّصِ) وَهُوَ ضِدُّ الغِنَى عَنْهُمَا الـمَعْنِيِّ بِالقِيَامِ بِالنَّفْسِ.

(وَ) السَّادِسُ: (الشَّرِيكُ) وَهُوَ ضِدُّ الوَحْدَانِيَّةِ الشَّامِلَةِ لِنَفْيِ الانْقِسَامِ وَهُوَ الكَمِّيَّةُ الـمُتَّصِلَةُ، وَالنَّظِيرِ وَهُوَ الكَمِّيَّةُ الـمُنْفَصِلَةُ.

وَالشَّرِيكُ ظَاهِرٌ فِي النَّظِيرِ، لَكِنْ يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الانْقِسَامِ، إِذْ لَوْ فُرِضَ لَكَانَ كُلُّ جُزْءٍ جُزْءاً مِنْ صِفَةِ الأُلُوهِيَّةِ، فَتَتَعَدَّدُ الآلِـهَةُ بِتَعَدُّدِ الأَجْزَاءِ، فَيَكُونُ شُرَكَاءَ، فَنَفْيُ الشَّرِيكِ نَفْيٌ لِلانْقِسَامِ.

(وَكَذَا) أَيْ كَاسْتِحَالَةِ هَذِهِ السِّتِّ أَضْدَادُ الصِّفَاتِ السِّتِّ السَّلْبِيَّةِ (يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ العَجْزُ) وَهُوَ عَدَمُ التَّمَكُّنِ مِنَ الفِعْلِ مَعَ قَابِلِيَّةِ أَنْ يُفْعَلَ.

(وَ) كَذَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى (**الكَرَاهَةُ**) وَهِيَ ضِدُّ الإِرَادَةِ.

(**وَالجَهْلُ**) وَهُوَ ضِدُّ العِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الظَّنُّ وَالشَّكُّ وَالوَهْمُ وَالنِّسْيَانُ وَالنَّوْمُ.

(**وَالمَوْتُ**) وَهُوَ ضِدُّ الحَيَاةِ.

(**وَالصَّمَمُ وَالعَمَى**) وَهُمَا ضِدُّ السَّمْعِ وَالبَصَرِ.

(**وَالبَكَمُ**) وَهُوَ ضِدُّ الكَلَامِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ السُّكُوتُ مُطْلَقاً.

وَلَـمَّا أَنْهَى الكَلَامَ عَلَى الـمُسْتَحِيلَاتِ شَرَعَ فِي الجَائِزَاتِ فَقَالَ: (**وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِ**) تَبَارَكَ وَ(**تَعَالَى فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ**) مِنْ إِيجَادٍ أَوْ إِعْدَامٍ، (**أَوْ تَرْكُهُ**) بِأَنْ لَا يُوجِدَهُ أَوْ لَا يُعْدِمَهُ.

ثُمَّ شَرَعَ فِي سَرْدِ البَرَاهِينِ الـمُثْبِتَةِ لِـمَا ادَّعَاهُ مِنَ الصِّفَاتِ وَاسْتِحَالَةِ أَضْدَادِهَا وَجَوَازِ مَا ذُكِرَ أَنَّهُ جَائِزٌ فَقَالَ:

(**وَالدَّلِيلُ**) وَهُوَ مَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبٍ خَبَرِيٍّ (**عَلَى وُجُودِهِ تَعَالَى: وُجُودُ العَالَمِ**) وَهُوَ حَادِثٌ بِدَلِيلِ مُلَازَمَتِهِ لِلْأَعْرَاضِ الحَادِثَةِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ وَغَيْرِهِمَا، وَهِيَ حَادِثَةٌ ضَرُورَةَ تَغَيُّرِهَا، وَمُلَازِمُ الحَادِثِ حَادِثٌ، فَالعَالَـمُ حَادِثٌ، وَكُلُّ حَادِثٍ لَابُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ، فَلَابُدَّ مِنْ وُجُودِ هَذَا الـمُحْدِثِ، وَهُوَ اللَّـهُ تَعَالَى.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى قِدَمِهِ تَعَالَى أَنَّهُ (**لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا لَكَانَ حَادِثًا**) فَيَفْتَقِرُ إِلَى مُحْدِثٍ، وَهَذَا الـمُحْدِثُ كَذَلِكَ، فَإِنْ انْحَصَرَ العَدَدُ لَزِمَ الدَّوْرُ، وَإِنْ لَـمْ يَنْحَصِرْ بِأَنْ قُدِّرَ قَبْلَ كُلِّ مُحْدِثٍ مُحْدِثٌ لَزِمَ التَّسَلْسُلُ، وَكِلَاهُمَا بَاطِلٌ، فَلَزِمَ قِدَمُهُ تَعَالَى.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى بَقَائِهِ تَعَالَى أَنَّهُ (**لَوْ لَمْ يَكُنْ بَاقِيًا لَمْ يَكُنْ قَدِيماً**) إِذْ مَا ثَبَتَ قِدَمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بُرْهَانُ وُجُوبِ قِدَمِهِ، فَلَزِمَ وُجُوبُ بَقَائِهِ تَعَالَى.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ أَنَّهُ (لَوْ لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِخَلْقِهِ لَكَانَ) حَادِثاً (مِثْلَهُمْ) وَمَا جَازَ عَلَى الـمِثْلِ يَجُوزُ عَلَى مُـمَاثِلِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بُرْهَانُ قِدَمِهِ تَعَالَى وَبَقَائِهِ.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَائِمٌ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ (لَوْ لَمْ يَكُنْ قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَاحْتَاجَ إِلَى مَحَلٍّ وَمُخَصِّصٍ، وَلَوْ افْتَقَرَ إِلَى مَحَلٍّ لَكَانَ صِفَةً) وَالصِّفَةُ لَا تَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الـمَعَانِي وَلَا الـمَعْنَوِيَّةِ، وَقَدْ قَامَ البُرْهَانُ عَلَى وُجُوبِ اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِهِمَا جَمِيعاً، (وَلَوْ احْتَاجَ إِلَى مُخَصِّصٍ) أَيْ فَاعِلٍ (لَكَانَ حَادِثًا) إِذْ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى الـمُحْدِثِ إِلَّا مَا يَقْبَلُ العَدَمَ، وَمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ وَاجِبُ القِدَمِ وَالبَقَاءِ.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِه تَعَالَى أَنَّهُ (لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا) فِي ذَاتِهِ وَفِي صِفَاتِهِ وَمِنْهَا صِفَاتُ الأَفْعَالِ (لَكَانَ مَقْهُورًا).

أَمَّا الأَوَّلُ فَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُرَكَّباً لَكَانَ مُفْتَقِراً ضَرُورَةَ أَنَّ كُلَّ مُرَكَّبٍ مُتَوَقِّفٌ، وَكُلُّ مُتَوَقِّفٌ مُفْتَقِرٌ، وَلَوْ كَانَ مُفْتَقِراً لَكَانَ حَادِثاً، وَكُلُّ حَادِثٍ مَقْهُورٌ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ شَرِيكٌ لَهُ مِنَ الْقُدْرَةِ مِثْل مَا لِـمَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ فَإِمَّا أَنْ تَتَعَلَّقَ قُدْرَتَيْهِمَا بِإِيجَادِ مُـمْكِنٍ، وَلَا جَائِزَ أَنْ يُوجَدَ بِهِمَا مَعاً لِاسْتِحَالَةِ وُجُودِ أَثَرٍ بَيْنَ مُؤَثِّرَيْنِ، فَلَابُدَّ مِنْ عَجْزِ أَحَدِهِمَا، وَإِمَّا أَنْ تَتَعَلَّقَ قُدْرَةُ أَحَدِهِمَا فَقَطْ، فَالَّذِي لَـمْ تَتَعَلَّقْ قُدْرَتُهُ عَاجِزٌ، وَكُلُّ مَا جَازَ عَلَى الـمِثْلِ مِنْهُمَا يَجُوزُ عَلَى مُـمَاثِلِهِ، فَإِذَنْ لَابُدَّ مِنْ عَجْزِ أَحَدِهِمَا، وَالعَاجِزُ مَقْهُورٌ، كَيْفَ وَرَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا هُوَ القَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، (﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]) جَلَّ وَعَلَا.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ وَمُرِيدٌ وَعَالِـمٌ وَحَيٌّ أَنَّهُ **(لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ تَعَالَى القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَالعِلْمُ وَالحَيَاةُ لَـمَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ)** لِأَنَّ وُجُودَ العَالَـمِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى اتِّصَافِ مُحْدِثِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ضَرُورَةَ أَنَّهُ أَثَرٌ لِقُدْرَتِهِ، وَتَأْثِيرُهَا تَابِعٌ لِلْإِرَادَةِ الَّتِي خَصَّصَتْهُ بِالوُجُودِ دُونَ العَدَمِ الـمُسَاوِي لَهُ، وَالإِرَادَةُ عَلَى وَفْقِ العِلْمِ، وَلَا يَتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مَنْ لَيْسَ بِحَيٍّ، إِذْ

هِيَ الـمُصَحِّحَةُ لِلْاتِّصَافِ بِهَا، فَوَجَبَ كَوْنُهُ تَعَالَى مُتَّصِفاً بِجَمِيعِهَا وَإِلَّا لَـمْ يُوجَدْ شَيْءٌ مِنَ العَالَـمِ، وَقَدْ وُجِدَ.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ: وُرُودُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَيْضاً (**لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلَامِ لَكَانَ نَاقِصًا**) إِذْ يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ اتِّصَافِهِ بِهَا اتِّصَافُهُ بِأَضْدَادِهَا الَّتِي هِيَ الصَّمَمُ وَالعَمَى وَالبَكَمُ، وَهِيَ نَقَائِصُ، وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ، (تَعَالَى) اللَّـهُ (**عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا**).

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ فِعْلَ الـمُمْكِنَاتِ وَتَرْكَهَا جَائِزٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى أَنْ يُقَالَ: (**لَوْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُ المُمْكِنَاتِ وَتَرْكُهَا جَائِزًا فِي حَقِّهِ**) تَعَالَى بِأَنْ كَانَتْ وَاجِبَةً أَوْ مُسْتَحِيلَةً فِي العَقْلِ (**لَانْقَلَبَ**) الـمُمْكِنُ وَاجِباً أَوْ مُسْتَحِيلًا، وَذَلِكَ لَا يُعْقَلُ فَإِنَّ فِيهِ قَلْباً لِـحَقَائِقِ الأُمُورِ، (**وَقَلْبُ الحَقَائِقِ مُسْتَحِيلٌ**).

ـ النُّبُوَّات ـ

وَلَـمَّا أَنْهَى الكَلَامَ فِي الإِلَـهِيَّاتِ شَرَعَ فِي بَيَانِ النُّبُوَّاتِ فَقَالَ: (**وَأَمَّا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمْ**) ثَلَاثُ صِفَاتٍ:

ـ الأُولَى: (**الصِّدْقُ**) وَهُوَ مُطَابَقَةُ الـخَبَرِ لِـمَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ.

ـ (وَ) الثَّانِيَةُ: (**الأَمَانَةُ**) وَهِيَ حِفْظُ الجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ مِنَ التَّلَبُّسِ بِمَنْهِيٍّ عَنْهُ، نَهْيَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ.

ـ (وَ) الثَّالِثَةُ: (**التَّبْلِيغُ**) لِـمَا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ لِلْخَلْقِ.

(**وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ**) أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَهِيَ (**الكَذِبُ**) وَهُوَ مُخَالَفَةُ الخَبَرِ لِـمَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ، (**وَالخِيَانَةُ**) وَهِيَ عَدَمُ حِفْظِ الجَوَارِحِ عَنِ الـمَنْهِيَّاتِ، (**وَالكِتْمَانُ**) وَهُوَ عَدَمُ التَّبْلِيغِ لِـمَا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ، مِنْ كَتَمْتُ الحَدِيثَ أَيْ سَتَرْتُهُ.

(وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ) عَلَيْهِمْ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ (مَا يَجُوزُ فِي حَقِّ سَائِرِ البَشَرِ) أَيْ بَاقِيهِمْ (لَكِنْ إِنْ كَانَ) هَذَا الجَائِزُ فِي حَقِّ البَشَرِ (لاَ يُؤَدِّي إِلَى النَّقْصِ فِي مَرَاتِبِهِمُ العَلِيَّةِ، كَالـمَرَضِ) الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ كَوَجَعٍ مَثَلًا ، (وَنَحْوِهِ) كَالأَكْلِ وَالنَّوْمِ وَالنِّكَاحِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمْ، بِخِلَافِ العَمَى. فَيَجُوزُ مَا لَا نَقْصَ فِيهِ، كَالـمَرَضِ الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ، وَيَسْتَحِيلُ مَا فِيهِ نَقْصٌ.

(وَالدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِهِمْ) عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَوْنُهُمْ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ (المُعْجِزَاتُ) جَمْعُ مُعْجِزَةٍ: وَهِيَ الأَمْرُ الخَارِقُ لِلْعَادَةِ الـمَقْرُونُ بِالتَّحَدِّي ، فَإِظْهَارُ الـمُعْجِزَةِ عَلَى أَيْدِيهِمْ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي» .

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى أَمَانَتِهِمْ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أَنَّهُ (لَوْ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ) بِأَنْ لَـمْ يَحْفَظُوا جَوَارِحَهُمْ عَنِ التَّلَبُّسِ بِمَنْهِيٍّ

عَنْهُ (لَكَانُوا خَائِنِينَ) فَيَنْقَلِبُ الـمُحَرَّمُ وَالـمَكْرُوهُ طَاعَةً فِي حَقِّنَا لِأَنَّ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِالاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِـهِمْ وَأَفْعَالِـهِمْ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّ اللَّـهَ تَعَالَى أَمَرَ بِفِعْلِ هَذَا الـمُحَرَّمِ وَالـمَكْرُوهِ، وَلَا يَأْمُرُ تَعَالَى بِمُحَرَّمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، فَإِذَنْ لَيْسُوا بِخَائِنِينَ، فَهُمْ أُمَنَاءُ.

(وَ) الدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ التَّبْلِيغِ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ (لَوْ لَمْ يُبَلِّغُوا لَكَانُوا خائنين) الكتم خيانة، (وَذَلِكَ مُحَالٌ) فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(وَدَلِيلُ جَوَازُ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ مُشَاهَدَةُ وُقُوعِهَا) أَيْ الأَعْرَاضِ (بِهِمْ لِأَهْلِ زَمَانِهِمْ) الَّذِينَ عَاصَرُوهُمْ، (وَنُقِلَتْ) أَخْبَارُ وُقُوعِ تِلْكَ الأَعْرَاضِ بِهِمْ فَبَلَغَتْ (إِلَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ) الـمُحَصِّلِ لِلْعِلْمِ، وَهُوَ خَبَرُ جَمْعٍ يَسْتَحِيلُ عَادَةً تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الكَذِبِ عَنْ مَحْسُوسٍ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَبَارَكَ وَعَمَّمَ.

كَمُلَ هَذَا التَّعْلِيقُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ عَوْنِهِ، وَ(صَلَّى اللهُ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ) تَسْلِيماً.




دار الإمام ابن عرفة
تونس